المستردون

[الى ضحايا الطوفان الاول !]

وزمزمتِ الريحُ ملءَ الدجى
زئيراً من الهول في مخدعي
يئزُّ صداهُ لدى المنتهى
من الافق مستنفراً ، لا يعي
وفي رجعه غمغماتُ الرؤى
تزمّر ، كالرجف في أضلعي
فيا للضحى الميّتِ المزدرى !
ويا للدجى الموحش المفجعِ

*

ورجعُ صدى الرعب عبر الصموتْ
يضجّ مدى الافق بالزمزماتْ
وجهشُ رياح الفناء المميت
باعواله يستفزّ الحياة !
وأكواخنا نُسُجُ العنكبوت
تفرّت دماً ، من جلود العراة !!
ومن سَعَف النخل ، هذي البيوت !
تُشادُ ، ومنا سرايا الحفاة

*

وكنّا وأطفالنا . والقطيعْ
على مرفأ العدم الراصدِ
بنضحِ النبيع ، ونبعِ الدموع
نكدّ لدى السيّد المارد !
وفي حيّنا ، في مغاني الربيع
يموت حصيدُ الاسى الحاقد
ونعرى . نجوعُ ، وهل من شفيع
سوى شهقة الجزع الهامد ؟

*

وللسحب أعراسُنا . والرياحْ
تنوح على ضفتي « دجلةٍ »
وزوبعةُ الرمل تذرو الجناح
مروّعةً خافق الميّت !!
وللقلق الحاشد المستباح
شظايا من الغصّة المرّة
وللأرق الجمر عزف الجراح
بأغنيةٍ من فم الحيرة !

*

وفي غفلةٍ ، عن عيون الشراةْ
عتا النهرُ ، في موجه الهادرِ
طغى ساخطاً ، كنذير العصاة
يكفّر عن إثمه الطاهر !
غضوباً ، وللويل فجرُ الاساة
كأن به حَنَقَ الساخر
وظلّ يهد الدُمى الواجفات
ويكتسح الجرفَ ... كالثائر !

*

وذوّى من الرعب هولُ النذيرْ
يزفّ الصدى في ظلال الدمِ
صدى الموج ، في غيّه المستثير
وغلّ الحزانى على المعصم
شريدٌ . غريقٌ شجيُّ الزفير
تناثر في الغيهب المبهم !
وفي الوَحَل الثرّ يغفو الحفير
على لمح فانوسه المعتم !

*

وهمنا على الماء ، نحن العبيدْ !
وتاه السُرى في الطريق الغريقْ
على قمة التل يأوي الشريد
نجيّاً من الموج ، خلف الطريق
نزحنا خفافاً ، وكنا نريد
بشيرَ القرابين قبل الشروق
وكنّا يداً بيد ... كالحديد !
وأرجلُنا في الحفير العميق !

*

وللسدّ نهدي بقايا الرمالْ
وأظهُرنا ... فديةٌ للهجير !!!
وما عاقنا شظفٌ من كلال
وما هدّنا صخبٌ ... كالزئير
لتنعم « اشباحنا » بالظلال
وتنجو من الويل شمُّ القصور
فياويح أعناقنا ، لا تزال
بأغلالها ... شهوة المستجير

*

بلا سكنٍ ، اهلُنا . والسوامْ
تلاقفها الموتُ فظّ اليدِ
وأعيُننا سُهّدٌ ، لن تنام
ودجلة في نزوة المزبد !
كأنّا ، من الموج نخشى الظلام
وانفاسنا من حطام الغد
وانّا من « الغَجَرِ » المستضام
تشرّد في مهمه الفدفد !

*

وفي مهيع الحقل ، عند الرصيفْ
على الشاطئين ، وقلب المدينهْ
وفي كل فجٍ ، قصيّ . مخيف
طوى شاحباتِ الطيوف الرهينه
زحوفٌ بأكوامها ، كالرسيف
بجالد اصفاده .... في سكينه
تحدّق في قسوةٍ ... للرغيف
وتزفر أنفاسَها في ضغينه !

*

ويلسعها البردُ ... يا للشتاءْ
تولى غبيّاً ، ومرت خطاه
تمرّد عصيانه في الحباء
وأعول كفرانُه ... في الشفاه
وفي أضلع الكوخ يهذي الخواء
بتسبيحة الحمد : يحيا الاله !
وتهمي السماء دموعَ الشقاء
لتُغرقَ طوفاننا بالمياه !

*

ومذياعُنا ... راعشٌ كالحزينْ
كأن به لسعةَ العقربِ !
يغصّ على تمتمات الرنين
ويشقى لدى النبأ المكرب
ونبراتُه ثورةٌ من حنين
الى الفرج الاريحيّ الابي !
لعلّ به سلوةَ المستكين
تخفّف من نهشة المخلب !

بغداد — علي الحلي